

وطن بقلم رصاص

محمد درويش

• كانوا يقدمون له هدية السنة الجديدة . كانوا يزغون له بشرى : سينقل من غرفة التعذيب الى الزنزانة . مسيح بلا مسامير . وفي الجدران نافذة صغيرة تطل على بحر .
لم يكن له زمن من قبل . الآن يرسم خيوطا صاعدة هابطة ، وفقا لقدرة أصابعه التي صارت بلا أظافر . خيوط هابطة صاعدة يلتقي بعض أطرافها ، سهوا ، ليشكل افتتاحيات دوائر . وعلى سطح البحر نسمة تمارس اللعبة اياها . لم يكن له زمن من قبل . والآن يعرف : هنا الساعة الاولى من اليوم الاول ، من الشهر الاول ، من العام الاول .

— ماذا حدث ؟

— أنتقل من مكان آخر الى . . زمن آخر .

— وماذا يعني هذا الانتقال ؟

— يعني أنني أبدأ . أتحكم بالدوامة .

— ولكنك لم تنتقل . السجناء هم الذين نقلوك .

— هذا لا يغير شيئا . القيد يصل الزند . وهكذا أعرف .

— ماذا تعرف ؟

— ان العصفير ليست حرة . وان الوطن يولد في منفى . اني أروض حالتي والتصق بالبعيد . وزندي يتحرر في قيدي .

• وكان الوطن كقدم طفل ، محبوبا في حذاء حديدي . وكان سرحان لا يعرف أكثر من ذلك . هذا يكفي — كان يقول . لان الاعتراف بما هو أبعد يفيد المحققين ويوسع العبارة .

كانوا ينتقبون كل ذرة من ذرات كيانه ، ويدخلون الانابيب الدقيقة الحادة في مسام جلده ، بحثا عن فكرة الوطن . وحين كانوا يتعبون من النزهة في الجسد الضعيف ، كانوا يسدون المسام المتسعة بافتتاحيات صحف تحتج على الانتهاك ، ثم يغطونها بطحين جاء من كندا ، ويخبثون الجسم كله ، بما فيه من أسرار وغابات ، بقماش متبرعين يحبون الكلاب ويعطفون على الناس المساكين .

كان الوطن كقدم طفل . وكانوا يبحثون عن الفكرة بين المفاصل . وسرحان لا يفهم ولا يعترف لانه ، فعلا ، لا يعرف . « ذهبوا الى الخارطة وتركوني » . ولكن حين أقاموا له خيمة في الزنزانة حولها الى خارطة . وكانت هوامشها يوميات . قالوا : « في الجنة أيضا تجد خيمة » . قال : « في الجنة أيضا أحولها الى خارطة ، وهوامشها مراثيات » .

لم يجدوا الفكرة في لحمه المتفتت بين أصابعهم . كانوا يرسمون على جسمه خطوط هابطة صاعدة تلتقي أطرافها في دوائر تشكل خارطة . صرخوا من الألم كأن الخطوط